التأصيل التأريخي لتفسير القرآن بالقرآن

The historical foundation of the interpretation

of the Qur'an in the Qur'an

إعداد

المدرس الدكتور محمد حمد الله جمعة أحمد

التعليم الديني والدراسات الإسلامية

Preparation

The teacher is Dr Muhammad Hamdallah Jumah Ahmed

Religious education and Islamic studies

sagshhshsh8@gmail.com

07500769729

ملخص البحث

تناول هذا البحث الموسوم بـ:(التأصيل التأريخي لتفسير القرآن بالقرآن) الحديث عن الأصالة التأريخية لتفسير القرآن بالقرآن. وقد اقتضت طبيعة البحث أن أُسلط الأضواء على القرون الخيرية الثلاثة الأولى مع ذكر الأمثلة التي توضح ذلك وتبين كيف استقى كل عصر أصوله التفسيرية.

الكلمات المفتاحية : (التأصيل، التأريخي، تفسير، القرآن).

Research Summary:

This research, titled: (The Historical Rooting of the Interpretation of the Qur'an in the Qur'an), discussed the historical authenticity of the interpretation of the Qur'an in the Qur'an. The nature of the research has been determined to focus on the first three centuries, mentioning the appropriate choice, and showing how each era derived its interpretive principles.

Keywords: (rooting, historical, interpretation, the Qur'an).

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن تبيانًا لكل شيء, وهدى ورحمة للمؤمنين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين , وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الهداة المهديين, أمَّا بعد:

فإنَّ أصح الطرق إلى تفسير القرآن وأزكاها هي تفسير القرآن بالقرآن؛ إذ صاحب الكلام أعلم بمراده ومقصده؛ لهذا لا يمكن لأي مفسِّر أن يتخطى هذا الأصل التفسيري دون النظر فيه أولًا؛ لهذه الأهمية البالغة أردت أن أُسلط الضوء على الجانب التأريخي له؛ لإبراز أصالة هذا الأصل و ببيان عمقه التأريخي؛ فجاء هذا البحث بعنوان:(التأصيل التأريخي لتفسير القرآن بالقرآن) .

وقد سرت في بحثي هذا على أسس البحث العلمي المتبع, على النحو الآتي:

- التزمت بعزو أقوال العلماء إلى مصادرها الأصلية.
- خرجت الأحاديث من مضانها.
- خرجت الآيات القرآنية في الهامش.
- أذكر بطاقة الكتاب. في الهامش كاملة عند ذكرها لأول مرة ؛ لتيسير الأمر على القارئ الكريم.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم البحث على تمهيد وثلاثة مطالب, خاتمة , على وفق الآتي:

التمهيد : بينتُ فيه مدلول تفسير القرآن بالقرآن .

أمَّا المطلب الأول: فقد تحدثتُ عن تفسير القرآن بالقرآن في عصر الرسالة.

بينما المطلب الثاني: كان الحديث فيه عن تفسير القرآن بالقرآن في عهد الصحابة ﷺ كيف نشأ ومن أين استمد أصوله.

و دار الحديث في المطلب الثالث: عن تفسير القرآن بالقرآن في عهد التابعين وكيف استمدوا أُصول تفاسيرهم.

ثمَّ خُتم هذا البحث بأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

أخيرًا فإنَّ هذا البحث جهد إنسانٍ قد تتعثر به القدم ويزل قلمه, فإن وُفق فالحمد الله على توفيقه, و إن كانت الأخرى فلتقصيري وعجزي, والله تعالى ورسوله ﷺ منه براء.

the introduction:

Praise be to God who sent down the Qur'an as an explanation of everything, and a guidance and mercy for the believers, and prayers and peace be upon the Seal of the Prophets and Messengers, and upon his good and pure family and his guided companions, as for what follows:

the introduction

Praise be to God who sent down the Qur'an as an explanation of everything, and a guidance and mercy for the believers, and prayers and peace be upon the Seal of the Prophets and Messengers, and upon his good and pure family and his guided companions, as for what follows:

The most correct and purest way to interpret the Qur'an is to interpret the Qur'an by the Qur'an. The speaker of the speech knows best what he means and what he intends. Therefore, no interpreter can go beyond this explanatory source without considering it first; For this great importance, I wanted to highlight the historical aspect of it. To highlight the authenticity of this origin and demonstrate its historical depth; This research was entitled: (The historical foundation of the interpretation of the Qur'an through the Qur'an).

I have proceeded in this research on the principles of followed scientific research, as follows:

-I committed myself to attributing the scholars' statements to their original sources.

-The hadiths have fallen out of their meaning.

-Quranic verses appeared in the margin.

- Mention the book card. In full footnote when first mentioned; To make it easier for the dear reader.

The nature of the research required that the research be divided into an introduction, three sections, and a conclusion, according to the following:

Introduction: I explained in it the meaning of interpreting the Qur'an in terms of the Qur'an.

As for the first requirement: I spoke about the interpretation of the Qur'an by the Qur'an in the era of the message.

While the second requirement: The discussion in it was about the interpretation of the Qur'an by the Qur'an during the era of the Companions, how it emerged and from where it derived its origins.

The discussion revolved around the third topic: about the interpretation of the Qur'an by the Qur'an during the era of the Successors and how they derived the foundations of their interpretations.

Then this research concluded with the most important results reached by the research.

Finally, this research is the effort of a person whose foot may stumble and his pen may stumble. If he is successful, praise be to God for his success, and if it is the other, then it is my negligence and inability, and God Almighty and His Messenger, may God bless him and grant him peace, are innocent of it

تمهيد

قبل البدء في بيان جوانب البحث ومضمونه لابد من تسليط الضوء على أسسه القويمة، وذلك في فقرات عدة منها:

أولًا: تعريف تفسير القرآن بالقرآن

.إنَّ المتتبع لبيان وتفسير الرسول الكريم - ﷺ- للقرآن يرى أنَّه ﷺ هو أول من أَسس لهذا الأصل التفسيري وأرسى له قواعده- كما سيتضح في المطلب الأول إن شاء الله- ثمَّ سار المفسرون منذ جيل الصحابة - ﷺ- حتى اليوم على تلك الأسس والقواعد، حتى أنَّ كتبهم جاءت مليئة بهذا الأصل من الأصول التفسيرية تمثيلًا و تطبيقًا له في كتابة تفاسيرهم ، إلا أنَّهم لم يضعوا له حد يعرف به، مكتفين بالتمثيل عن التعريف، وكما يقال: بالمثال يتضح المقال، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى فإنَّ مصطلح تفسير القرآن بالقرآن مرتبط بتعريف التفسير ذاته.

وبناءً على ذلك كان لابد من تعريف مصطلح .التفسير ليتسنى لنا معرفة تفسير القرآن بالقرآن وبيان ذلك فيما يأتي على وفق الآتي

أولًا: تعريف التفسير لغة:

التفسير لغة: يراد به الإيضاح والبيان والتفصيل ، يقال: فَسَر الشيءَ أي يفسِرُه بالكَسر ويفْسُرُه بِالضَّمِّ فَسْرًا، وفَسَّرَ الشيء أي أَبانه والتَّفْسيرُ مِثْلُهُ... وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (١)، يدل دلالة واضحة على معنى التفسير، فالفَسرُ يعني كَشْفُ المُغَطّى ، وأمَّا التَّفْسير فهو كَشف المُراد عَنِ اللَّفْظِ المُشْكل(٢)

---

(١) سورة الفرقان ،الآية: (٣٣).

(٢) ينظر:كتاب العين: للخليل، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،(ب.ط.ت): (٧/ ٢٤٧)، مادة:(فسر)،لسان العرب: لابن منظور ، محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط:٣،(١٤١٤هـ)،(٥/ ٥٥). باب :الراء، فصل: الفاء، مادة :(فسر).

وبهذا يتضح أنَّ التفسير لغة: هو مصدر مشتق من الفسر وهو البيّان والإيضاح والتفصيل.

ثانيًا: التفسير في الاصطلاح:

اختلف المفسرون في تعريف التفسير.اصطلاحًا على عدة أقوال: من ذلك ما جاء في مقدمة تفسير ابن جزي.(ت: ٧٤هـ).إذ قال:»ومعنى التفسير: شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه» (١).

وعرَّفه الزركشي(ت:٧٩٤هـ) بأنَّه:» علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺوبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ « (٢)

ومما تقدم يمكن القول بأنَّ معنى التفسير: هو الكشف والتفصيل والبيّان لمعاني القرآن على مراد الله تعالى بحسب الطاقة البشريّة(٣). والله تعالى أعلم.

ثالثًا: مفهوم تفسير القرآن بالقرآن:

وبعد ما تبين لنا معنى التفسير أستطيع أن أعرف بتفسير القرآن بالقرآن بأنَّه: البيان والكشف عن معاني القرآن الكريم بالقرآن على مراد الله وتفصيلها بحسب طاقة بني البشر .

وبناء على ما سبق يمكن القول بأنَّ أسس تفسير القرآن بالقرآن تتعلق بما أُثر عن الرسول ﷺ وبما أُثر عن الصحابة ﷺ الذين شهدوا التنزيل وبما جاء عن التابعين رحمهم الله الذين استقوا علمهم على أيدي الصحابة – ﷺ - لذا تعتبر العصور الثلاثة الأولى هي الأساس المتين لفهم القرآن الكريم (٤) لذلك سأقتصر في هذه الدراسة لتأصيل هذا الأصل التفسيري على هذه العصور الثلاثة وذلك

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي ، أبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تح: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط،١، (١٤١٦ هـ)،(١/ ١٥).

(٢) البرهان في علوم القرآن: للزركشي، أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، ط: ١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م: (١/ ١٣).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: ٣، (ب. ت)، (٢ / ٣).

(٤) ينظر: الروايات التفسيرية في فتح الباري: عبد المجيد الشيخ عبد الباري،رسالة دكتوراه، وقف السلام الخيري،ط، ١،(١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م)،(٣/ ١٤٢٨).

في ثلاثة مطالب على وفق الآتي:

المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن في عصر الرسالة

سأتحدث في هذا المطلب عن الجذور الأولى لتفسير القرآن بالقرآن ومن أين استمد أصوله التفسيرية، على نحو الآتي:

أولًا: نشأته.

«من المعلوم ضرورة أنَّ هذا النوع من التفسير ظهرت نواته الأولى مع بداية نزول القرآن حيث بين عليه الصلاة والسلام ما احتاج إليه المسلمون آنذاك من معاني الكتاب المعجز، بطرق تفسيرية واضحة ، وقد كان لتفسير القرآن بالقرآن نصيب من تفسيراته المباركة حيث أسس الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم – لهذا الأصل وأرسى قواعده، فكانت تلك القواعد والأسس التي بدأها خليل الحق وسيد الخلق- صلى الله عليه وسلم – طريقًا ممهدًا في تفسير القرآن بهذا الأصل التفسيري للأصحاب المنتجبين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.-ومن جاء بعدهم من التابعين وأتباعهم-رحمهم الله -الذين كانوا يتعلمون منه- ﷺ- ويعون ما يقوله ويوضحه -ﷺ - فإذا أغلق عليهم فهم شيء من كتاب الله هرعوا إلى رسول الله-ﷺ - بالسؤال «والاستفسار فيوضحه لهم، ويبينه [1]تنفيذًا لقوله عز شأنه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وقد تكفّل الله سبحانه وتعالى بحفظ هذا الكتاب وبيّانه قائلًا :»﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾»[3] فكان بديهيًا أن يكون رسوله -ﷺ- أعلم الخلق بكتاب الله جملة وتفصيلًا ؛لأنه عليه نزل.

«ومثال ذلك ما جاء «عن عَبْدِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ:»»لَما نَزلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:»﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾»[4] «شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ» النَّبِيِّ - ﷺ- «وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَلْبِسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: («إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ، أَلاَ تَسْمَعُونَ «إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ:

(١) ينظر : تفسير مقاتل بن سليمان: لمقاتل بن سليمان أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت ،ط،١، ١٤٢٣ هـ، (٥/ ٥).

(٢) سورة النحل ، من الآية : (٤٤).

(٣) سورة القيامة ، الآية : (١٧ – ١٩).

(٤) سورة الأنعام ، من الآية :(٨٢).

﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ [١]) [٢].حيث أشكل فهم لفظة -الظلم - الواردة في الآية على كبار الصحابة؛ إذ فهم الصحابة - ﷺ- أن لفظة -الظلم - الواردة في الآية عامة في كل ظلم؛ لهذا شق عليهم ذلك بادئ الأمر حتى جلاه لهم الحبيب - ﷺ- مبيّنًا أن «المراد هو الشرك ، فأزال عنهم ذلك «الاشكال [٣] .

بهذا يتضح أنَّ. بداية ظهور نواة هذا الأصل من الأصول التفسيرية كانت في حياة سيدنا الرسول الكريم ﷺ فهو أول من أصل له وأسسه .

لهذا:»كان لا بد لمن يعترض لتفسير «كتاب الله تعالى» أن ينظر في القرآن أولًا، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مسهبًا على معرفة ما جاء موجَزًا، وبما جاء مُبيَّنًا على فهم ما جاء مُجمْلًا،» وليحمل المُطْلَق على المقيَّد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسرَّ القرآن بالقرآن»، وفهم مراد الله بما جاء عن الله، وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها، ويتخطاها إلى مرحلة أخرى؛»لأنَّ صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره»[٤].

فبهذا يتبين أنَّ المرحلة الأولى للتفسير كانت تتمحور في القرآن نفسه على معنى رد متشابهه إلى محكمه، وحمل مجمله على مبينه، وعامه على خاصه، ومطلقه على مقيده» ... [٥].

ثانيًا: المصادر التفسيرية في العصر النبوي

لقد استمد تفسير القرآن بالقرآن أصوله في العصر النبوي من القرآن الكريم نفسه حيث كانت المدرسة التفسيرية نابعة من القرآن نفسه وترتكز عليه»وهذا ما ذكره الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ) في كتابه التفسير والمفسرون قائلًا:»إنَّ المرحلة الأولى للتفسير تتركز في

---

(١) سورة لقمان ،من الآية :(١٣).

(٢) صحيح البخاري: للبخاري، محمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري(ت: ٦٥٦هـ)،تح: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة،ط، ١،(١٤٢٢هـ)، كِتَابُ :اسْتِتَابَةِ المُرْتَدِّينَ وَالمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، بَابُ: إِثْمِ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، وَعُقُوبَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، (٩/ ١٣) ،رقم الحديث :(٦٩١٨).

(٣) ينظر :الإستيعاب في بيان الأسباب: سليم بن عيد الهلالي (و) محمد بن موسى آل نصر ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ،ط: ١، ١٤٢٥ هـ ، (١/ ١٠).

(٤) التفسير والمفسرون: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي(ت: ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة،(ب.ط .ت)، (١/ ٣١).

(٥) ينظر: المصدر السابق، (١/ ٣٤).

القرآن نفسه على معنى رد متشابه إلى محكمه، وحمل مجمله على مبينه، وعامه على خاصه، ومطلقه على مقيده.. إلخ، كما تتركز في بعض قراءاته المتواترة. وما كان من قراءات غير متواترة فلا يُعوَّلُ عليها باعتبارها قرآنًا، وإن عُوِّل على بعض منه باعتبارها تفسيرًا للنص القرآني»[١]حيث كان-ﷺ- يرد المجمل في القرآن إلى المبيّن»، والمشكل» إلى الموضح، والعام إلى الخاص والمطلق إلى المقيد... مؤسسًا للتفسير القرآني ومن ذلك ما بيّنه عليه الصلاة والسلام بتفسيره لكثير من الآيات القرآنية بآيات أخرى من ذلك تفسيره «لفظة الظلم الواردة في الآيَةُ التالية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾[٢] بآية أخرى:» ﴿وَقَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ «[٣] كما تقدم[٤] .

ومما يجب ملاحظته» هنا أنَّ تفسير القرآن» بالقرآن في عصر النبوة» ليس مما يفسره «المفسرون آية بآية بطريق الاجتهاد وإنَّما هو تفسير نبوي شريف» أي بطريق الوحي «»[٥] .

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن في عصر «الصحابة ﷺ

سأتحدث «في هذا المطلب عن أصل من أصول «التفسير في عصر الصحابة» ومن أين استمدوا مادته العلمية»» على وفق الآتي :

أولًا : تفسير القرآن بالقرآن في عصر الصحابة» ﷺ

«نلاحظ بعد أن رسم الرسول الكريم - ﷺ- الخطوط الأولى لهذا الأصل تابع أصحابه» الكرام ﷺ الخطى على هذه الخطوط المباركة متبركين بخطاه ﷺ فكانوا قادة تُقاد بهم الإنسانية «وتقتفي أثرهم إلى يوم الدين». كيف لا وقد اجتباهم الله لمجلس نبيّه ﷺ وحمل رسالة» وتبليغ دينه حيث كانوا أكثر الناس علمًا بالقرآن بما حباهم الله به من الدّراية «به ولا ريب فهم «العرب الأصلاء

---

(١) التفسير والمفسرون:(١/ ٣٤) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : (٨٢) .

(٣) سورة لقمان ،الآية: (١٣).

(٤) ينظر: صحيح البخاري : كِتَابُ :اسْتِتَابَةِ المُرْتَدِّينَ وَالمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ ، بَابُ: إِثْمِ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، وَعُقُوبَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، (٩/ ١٣) ،رقم الحديث :(٦٩١٨).

(٥) ينظر : تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية : عبد المجيد أحمد الدوري، رسالة دكتوراه - جامعة بغداد – كلية العلوم الاسلامية ،(١٤١٢ هـ-١٩٩٢م)، (ص: ٩٩).

الفصحاء ؛ إذ بلسانهم القرآن نزل وقد شهدوا تّنزيله ، فربّاهم رسول الله ﷺ بالقرآن يتلوه عليهم ويبيّن لهم بالقول والعمل مما أشكل عليهم وهذه خصائص توجب بالضّرورة بأن يكونوا أعلم النّاس بكتاب الله بعد رسول» الله ﷺ (١).

و من واحات المدرسة المحمدية بعد انتقال صاحبها عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى يخرج لنا جيل من العلماء ألا وهو جيل الصحابة ﷺقد تعلقت هممهم بكتاب الله حفظًا وفهمًا وعملًا مجسدين أسس تلك المدرسة في تفسيرهم للقرآن» ،وكان في طليعة هؤلاء العلماء عشرة من الصحابة - - ﷺ - كالخلفاء الراشدين الْأَربعةُ وابن مسعود وابن عبَّاسٍ وَزيدُ بنُ ثابتٍ وَأُبيُّ بن كعبٍ وَعبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ وَأَبو موسَى الْأَشعرِيُّ ﷺ(٢).»

ولم تقتصر المدرسة التفسيرية على هؤلاء العلماء الأجلاء بل تحدث كثير منهم ﷺ في التفسير من غير هؤلاء: كأنس بن مالك، وأبى هريرة، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، وعائشة» ﷺ، لكن لم يُنقِل عنهم في التفسير إلا شيئًا قليلًا جدًا، ولم يكن لهم شهرة من القول في التفسير ما كان للعشرة المذكورين أولًا، كما أنَّ بين العشرة الذين اشتهروا بالتفسير، تفاوتوا قِلَّة وكثرة، فأبو بكر وعمر وعثمانﷺلم يَرد عنهم في التفسير إلا النزر القليل» ويرجع السبب في ذلك إلى تقدم وفاتهم واشتغالهم بمهام الخلافة والفتوحات أضف إلى ذلك وجودهم في وسط أغلب أهله عالمون بكتاب الله واقفون على أسراره عارفون بمعانيه وأحكامه مكتملة فيهم خصائص العروبة» مما جعل الحاجة إلى الرجوع إليهم في التفسير غير ملحة(٣) .

والذي يمعن النظر في تفاسير هذا العصر يرى أنها تتفاوت في المعرفة بحسب أدوات أصحابها فلم يكونوا جميعًا في مرتبة واحدة ؛ لهذا اختلفوا في فهم بعض معانى القرآن ولكن اختلافهم كان اختلافًا يسيرًا بالنسبة لاختلاف التابعين ومَن يليهم (٤) . ولما تبيّن من أنَّ وضع النبي -ﷺ- لأسس تفسير القرآن بالقرآن يعد من باب بيّان السنة للقرآن وهو وحي إلهي و ليس من باب الاجتهاد وأن الصحابة - ﷺ- قد اخذوا على عاتقهم السير على ما ورثوه من حبيبهم-عليه الصلاة والسلام

---

(١) ينظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن: للجديع،عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي ، مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا ،ط، ١،(١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) ،(ص: ٣٠٤).

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:١،(١٣٩٤هـ- ١٩٧٤ م)، (٤/ ٢٣٣).

(٣) ينظر :التفسير والمفسرون ،(١/ ٤٩).

(٤) ينظر :المصدر السابق، (١/ ٤٦).

- فكان لابد أن يعود الأصل التأريخي لتفسير القرآن بالقرآن إلى عصر «الصحابة -ﷺ- حيث أنَّ ما ثبت عن النبي- ﷺ- يسمى تفسيرًا نبوّيًا وليست تفسير القرآن بالقرآن وإن كان قد أخذ أسسه الأولى من التفسير النبوي» ومن أمثلة ذلك ما جاء عن ابن عباسﷺ «قال: ما ابتلي أحد بهذا الدين فقام به كله غير إبراهيم، ابتلي بالإسلام فأتمه، فكتب الله له البراءة فقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ «[1]، فذكر عشرًا في (براءة)، فقال: « ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ «[2]، وعشرًا في (الأحزاب)، «﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ «[3]، وعشرًا في(سورة «المؤمنون): ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ «[4] ، وعشرًا في (سأل سائل): ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾. [5]

«وما ذُكر في تفسير قوله تعالى :» ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ «[6] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍﷺ:»كُنْتُمْ أَمْوَاتًا «فَأَحْيَاكُمْ فِي أَصْلابِ

(١) سورة النجم ، الآية : (٣٧).
(٢) سورة التوبة ،الآية : (١١٢).
(٣) سورة الأحزاب ،الآية : (٣٥).
(٤) سورة المؤمنون ، الآية : (١ - ٩).
(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملين، أبي جعفر الطبري (ت : ٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ،ط، ١،(١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)،(٢/ ٨).
(٦) سورة البقرة الآية :(٢٨).

آبَائِكُمْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا حَتَّى خَلَقَكُمْ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ مَوْتَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ حِينَ يَبْعَثُكُمْ قَالَ: وَهِيَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ (١)»(٢).

وبهذا القدر من الأمثلة «يتضح المنهج الذي جسّده الصحابة الكرام - ﷺ – في تفسير القرآن بالقرآن عن مدرسة الحبيب المحبوب - ﷺ.

ثانيًا: المصادر التفسيرية في عصر الصحابة -ﷺ

لقد استمد الصحابة - ﷺ جميعًا - المادة التفسيرية في تفسيرهم للقرآن من المصادر الآتي(٣):-

أولا: القرآن الكريم: فهو المصدر الأول لكل العلوم والفضائل، حيث بيَّن القرآن الكريم ما جاء مجملًا منه في موضع في موضع آخر، وما جاء منه عامًا مطلقًا، قيده وخصصه في موضع آخر من القرآن. وهذا هو المصطلح التفسيري لتفسير القرآن بالقرآن(٤)

ثانيًا: تفسير القرآن بالسنة: هو المصدر الثاني لتفسير القرآن الكريم بالقرآن إذ كان ﷺ- الموضح للقرآن و المبيّن له بأقواله وأفعاله و تقريراته الشريفة المباركة ؛ لذا كان أصحابه - رضوان الله عليهم- إذا أشكل عليهم فهم آية من الآيات رجعوا إليهﷺ فيبينه لهم كما تبين آنفًا في تفسير كلمة الظلم .

ثالثًا: الاجتهاد والفهم» : كان أصحاب رسول الله -ﷺ- إذا أرادوا تفسير القرآن نظروا فيه فإن لم يجدوا تفسيرًا ، نظروا في سنة رسول الله - ﷺ-فإن لم يظفروا بشيء اجتهدوا في الفهم» ، بما لديهم من الأدوات العلمية فهم العربُ الخُلص»، يجيدون لغتهم جيدًا، ويحسنون فهما وخصائصها» «.

رابعًا : أهل الكتاب من اليهود والنصارى

اعتمد الصحابةﷺفي تفسير بعض الآيات على بعض الروايات التفسيرية من أهل الكتاب بناءً على أنَّ لديهم علمًا موروثًا من الكتب السماوية السابقة ، ولربما هذا هو الأمر الذي أدى إلى

(١) سورة غافر، من الآية:(١١(.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)،تح: أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية ،ط،٣ ،(١٤١٩ هـ)، (١/ ٧٣).

(٣) ينظر: نفحات من علوم القرآن: محمد أحمد محمد معبد (ت: ١٤٣٠هـ) ، دار السلام – القاهرة ،ط، ٢، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)،(ص: ١٢٩)،و موسوعة التفسير قبل عهد التدوين: محمد عمر الحاجي ، دار المكتبي – دمشق ،ط، ١،(١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م)، (ص: ١٨٩-١٩٣) ،والتفسير والمفسرون، (١/ ٣١).

(٤) الإتقان في علوم القرآن، (٤/ ٢٠٠).

إدخال الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير».

وهذه الأسس المعتمدة هنا هي أسس عامة للتفسير أمَّا أسس تفسير«القرآن بالقرآن فقد اعتمدوا على مصدرين أساسين هما «[١]:-

أولًا: الوحي:

للوحي صورتان في تفسير القرآن بالقرآن وهما:

الصورة الأولى: ما جاء في القرآن نفسه واضحا و صريحًا. من ذلك ما جاء في تفسير لفظة: ﴿ٱلطَّارِقُ﴾ بـ: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾ [٢]فالمراد بـ«الطارق» هنا هو «النجم الثاقب» قطعًا، فالملاحظ هنا أنَّ «النجم الثاقب» المذكور في الآية جاء جوابًا للسؤال عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾». [٣]

«الصورة الثانية: ما ثبت عن النبي - ﷺ- في التفسير «القرآني بالقرآن- كما في «تفسير للظلم» في آية بالشرك في آية أخرى [٤]، ويعد هذا القسم من «التفسير تفسيرًا نبويًا موحى به وليس من باب الاجتهاد»، حيث أن قائله هو الرسول الكريم - ﷺ- وقوله في أمر التشريع وحي كما قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾». [٥]

ثانيًا: الرأي والاجتهاد: ويعنى به أنَّ يعمد المفسّر إلى آية لم يفصح ولم يصرح القرآن الكريم بتفسيرها ولم يثبت عن النبي - ﷺ- أنَّه فسرها بآية أخرى فيفسرها بآية أخرى، علمًا أن اجتهاد الصحابة - ﷺ - كان مبنيًا على: « اللغة،- قوة الاستنباط من النّص القرآني والقدرة عليه بما كان يملكه علماء الصحابة في التفسير من الملكة الشخصية، ورؤية التنزيل» [٦].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية: د. أحمد بن محمد البريدي، بحث محكم منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي ، للدراسات القرآنية ، العدد (٢) ،ذو الحجة (١٤٢٧هـ)،(ص: ١٠-١١).

(٢) سورة الطارق ، الآية:(٢ – ٣).

(٣) سورة الطارق ، الآية:(٢).

(٤) سبق تخريجه في مطلب تفسير القرآن بالقرآن في عهد الرسالة .

(٥) سورة النجم، الآية :(٣ – ٤).

(٦) مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن: عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد ، دار البيان العربي – القاهرة ،(د . ط) ، (د ،ت)،(ص: ١١٢).

ومن هذا يتبيّن أن مصادر هذا العصر في تفسير القرآن بالقرآن هما[١]:

أولًا:- ما جاء في القرآن واضحًا» وصريحًا، كما تقدم. أمَّا ما ثبت عن النبي - ﷺ وهو الصورة الثانية من صور الوحي،فهو تفسير نبويّ للقرآن بالقرآن و ليس للصحابة من ذلك شيء سوى بركة النقل.

ثانيًا:- الرأي والاجتهاد: وهذا المصدر خاضع للقبول والرد؛ وذلك بعد النظر في أدلة المفسّر و مناقشتها[٢]؛إذ أنَّ حمل المجمل على المبين أو المطلق على المقيد أو العام على الخاص أو إحدى القراءتين على الأخرى ليس بالأمر الهين الذى يدخل تحت قدرة كل إنسان وإنما هو أمر يعرفه أهل العلم والنظر خاصة. [٣].

المطلب الثالث: تفسير القرآن بالقرآن في عصر التابعين رحمهم الله

سيتمحور هذا المطلب حول الحديث عن أسس التفسير القرآني للقرآن في عهد التابعين وكيف استمدوا أصول هذا الأصل التفسيري، على وفق الآتي:

أولًا: تفسير القرآن بالقرآن في عصر التابعين رحمهم الله

لم ينتهي عطاء الصحابة - ﷺ – بانتهاء عصرهم بل خرّجوا لنا منارات علمية عالية من العلماء تتميز بعلو الهمة وسعة الباع بعلوم كتاب الله حيث أورثوهم العلم والعمل ، فكانوا أصحاب أمانة على ما ورثوا؛ ولا سيما هذا العلم الذي يعد من أعظم العلوم شرفًا ومكانة ؛ إذ أنَّ منزلة العلم بمنزلة المعلوم فأناروا به السبيل لمن جاء بعدهم من الأجيال، حيث: يعتبر «التابعون هم: من أوائل «المؤسسين الرئيسين للمدارس التفسيرية»[٤] التي ظهرت بذورها في عهد الصحابة - ﷺ- ثم تبلورت، و برزت وتحددت في غصون عصر التابعين والعصور التالية[٥]. وخاصة الطريق الأول ألا

(١) هذان المصدران في تفسير القرآن بالقرآن يعتبران مصدران أساسيان في هذا العصر والعصور التي تليه.

(٢) ينظر: تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية، (ص:١١).

(٣) ينظر: التفسير والمفسرون ،(١/ ٣٣).

(٤) و هذه المدارس تتلمذ فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسِّرين من الصحابة، فقامت مدرسة للتفسير بمكة، وأخرى بالمدينة، وثالثة بالعراق، وهذه المدارس الثلاث، هي أشهر مدارس التفسير في الأمصار في هذا العهد ينظر: التفسير والمفسرون ،(١/ ٧٧) .

(٥) ينظر: تفسير الماتريدي(تأويلات أهل السنة): لأبي منصور الماتردي، محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتردي (ت: ٣٣٣هـ) ،تح: د. مجدي بالسوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ،ط ،١، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)،

وهو تفسير القرآن بالقرآن، إذ لا يمكن لأيَّ مفسّر **أن يتعداه؛ وذلك لأنَّه أصح طرق التفسير.**

وعلى هذه الأسس انطلق التابعون رحمهم الله حاملين كتاب الله على أعناقهم شرحًا وتبيّنًا حسب احتياجات العصر ومتطلبات الحياة ؛ وذلك لأن ما جاءنا عن الحبيب الرسول-ﷺ- صحابته- ﷺ- من التفسير لم يتناول كل آيات القرآن الكريم إذ أنَّ النبي –عليه الصلاة والسلام- وصحابة الكرام –ﷺ – قد بينوا ما أشكل وغمض فهمه على معاصريهم»، «ثمَّ كلما بَعُد الناس عن عصر النبي -ﷺ- والصحابة تزايد الغموض على تدرج ، فاحتاج «المشتغلون بالتفسير من التابعين إلى أنَّ يكملوا بعض هذا النقص، معتمدين على ما عرفوه من أدوات التفسير ووسائل البحث العلمي المتبع آنذاك [١].

و «لهذا اتسعت دائرة تفسير القرآن» في هذا العصر؛ وذلك لأنَّ حاجة الناس لفهم آيات القرآن الكريم قد ازدادت، بعد أن دخل في الدين» أمم مختلفة اللغات والثقافات، فضعفت ملكة اللغة ؛ لذلك قيض الله في الأمصار الإسلامية كوكبة من العلماء اهتموا بتفسير كتابه، اعتمادًا على ما أخذوه عن صحابة رسول اللهﷺ ، وعلى ما وصل إليه «علمهم» في فهم آيات الكتاب المعجز [٢].

والذي ينظر في عصر التابعين» يرى أنَّهم قد ساروا على ما سار عليه الأوائل؛ حيث كانوا إذا أرادوا بيان معنى آية من القرآن وقفوا عند تلك الآية أولًا ينظرون نظرَ المدقق الحادق فإنَّ لم وجدوا بيانها في القرآن نفسه وإلا انطلقوا إلى السنة فإن لم يجدوا تفسيرًا للآية نظروا في تفسير صحابة رسول الله -ﷺ- ثمَّ استئنسوا بمرويات أهل الكتاب فإن لم يجدوا فيها ما يستأنس به في تفسّر الآية، عمدوا إلى الاستنباط والاجتهاد ، خاصة عند من يملكون أدوات الاجتهاد في التفسير كالمعرفة في لغة العرب وأساليبها وكذا عادات العرب ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، مع حصانة الفهم وقوته، وسعة الإدراك[٣]».

(١/ ٢٣٠).

(١) التفسير والمفسرون ،(١/ ٧٦).

(٢) ينظر:محاضرات في علوم القرآن: لأبي عبد الله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح، آل موسى فَرَج الناصري التكريتي ، دار عمار – عمان ،ط، ١:(١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م)، (ص: ١٨٠) ، ومدخل إلى تفسير القرآن = وعلومه : عدنان محمد زرزور ، دار القلم / دار الشامية - دمشق / بيروت ،ط،٢، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)،(ص: ٢١٩).

(٣) ينظر :موسوعة التفسير قبل عهد التدوين ،(ص: ٢٧٧).

والذي يهمنا هنا هو تفسيرهم للقرآن بالقرآن موضوع البحث؛ إذ أنَّه من المصادر الرئيسة المعتمدة في تفاسيرهم .

فمن ذلك ما جاء عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي تفسير قَوْلِهِ تعالى»: « ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ (١) قَالَ: »هي «مَثَلُ قوله : ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾(٢)» (٣).

وغير ذلك من الأمثلة التي بها يتجسد بها هذا الأصل التفسيري».

ثانيًا : المصادر التفسيرية في هذا العصر

لقد اعتمد التابعون» في فهمهم لكتاب الله تعالى وتفسيره على مصادر عدة منها (٤):-

أولًا: «ما جاء في الكتاب نفسه إذ هو المصدر الأول فما جاء منه عامًا مطلقًا جاء مقيدًا مخصصًا في موضع آخر من القرآن وما جاء مجملًا في موضع جاء مبيّنًا في موضع آخر من القرآن. وهذا هو الذي يسمّى تفسير القرآني بالقرآن .

ثانيًا: على ما رووه عن الصحابة- ﷺ- عن الرسول المكرم- ﷺ- فكان المصدر الثاني لهم هي السنة المطهرة -ﷺ- إذ هو المفسر الأول للقرآن والموضح له بسنته القولية والفعلية والتقريرية.

ثالثًا: على ما رووه عن الصحابة- ﷺ- من تفاسيرهم ، حيث تتلمذ التابعون على أيديهم، واشتهر بعضهم بالأخذ عن بعض الصحابة .(٥) « فعن الضحاك عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾»(٦) يقول: »كادوا لا يفعلون، ولم يكن الذي أرادوا؛ لأنَّهم أرادوا أن لا يذبحوها: وكل شيء في القرآن (كاد) أو(كادوا) أو(لو)، فإنه لا يكون. وهو مثل قوله:» ﴿إِنَّ

---

(١) سورة البقرة، الآية : (٦٥).

(٢) سورة الجمعة، الآية:(٥).

(٣) تفسير مجاهد: لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ) ، تح : الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل ، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ،ط ، ١ ، (١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م) ،(ص: ٢٠٥).

(٤) ينظر:التفسير والمفسرون،(١/ ٧٦) ، وفصول في أصول التفسير: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار،تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان ، دار ابن الجوزي ،ط ٢،(١٤٢٣هـ)،(ص: ٧٢).

(٥) ينظر: فصول في أصول التفسير، (ص: ٥٤).

(٦) سورة البقرة ،الآية :(٧١) .

ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [1]» [2]، نلاحظ هنا أن الضحاك اخذ عن ابن عباس في تفسير هذه الآية .

رابعًا : الروايات المأخوذة من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم حيث كان رجوع التابعين إلى أهل الكتاب أكثر من رجوع الصحابة – رضي الله عنه ولكن يبقى الأمر في أن ما روي عنهم من أخبار إسرائيلية فهو في حكم الإسرائيليات ولعلهم كانوا يذكرونه من باب العلم والرواية لا من باب التفسير ، والله أعلم، وتظهر كثرة مروياتهم عن بني إسرائيل من خلال تفاسيرهم. [3].

ومن ذلك: ما رواه الطبري في مائدة النصارى ، عن أبي عبد الرحمن قال: نزلت المائدة خبزًا وسمكًا وغير ذلك من الروايات التي جاءت مبثوثة في ثنايا كتبهم [4].

خامسًا: اللغة العربية لا يزال التابعون في عصر الاحتجاج اللغوي وقد كانوا يرجعون في تفاسيرهم إلى اللغة كثيرًا[5] من ذلك ما جاء عن مجاهد وعكرمة وقتادة وابن زيد في قوله﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ ﴾[6]الباسقات الطوال فالباسقات فسّرها العلماء بالطول باعتمادهم على الأصل اللغوي[7].

سادسًا: ومن المصادر التي اعتمد عليها التابعون الاجتهاد و الفهم ؛إذ قد أوردت لنا كتبهم كثيرًا من الأقوال التفسيرية ،أبدوها بطريق الفهم والاجتهاد، إذ يتصلوا إلى شيء فيها عن رسول - ﷺ- أو عن أمرئ من الصحابة وانما اعتمدوا على فهمهم واجتهادهم في تفسير القرآن، و إبراز فوائده، إلا أنَّهم اختلفوا في ذلك ؛ لأن مرجع ذلك هو عقولهم وعلومهم، وهي تختلف باختلاف أشخاصهم، ولذا فقد يكون لهم في فهم الآية أكثر من معنى، وكل معنى مبني على ما سبق من المصادر المذكورة سابقًا[8]،من ذلك ما جاء عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾﴾» [9]،

---

(١) سورة طه ،الآية: (١٥).

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن ،(٢/ ٢١٩) .

(٣) ينظر: فصول في أصول التفسير، (ص: ٥٥).

(٤) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن، (١١/ ٢٢٧) .

(٥) ينظر :فصول في أصول التفسير ،(ص: ٥٤) .

(٦) سورة ق، الآية : (١٠).

(٧) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن، (٢٢/ ٣٣٥).

(٨) ينظر: التفسير والمفسرون ،(١/ ٧٦) ،و فصول في أصول التفسير ،(ص: ٥٥) .

(٩) سورة عبس ،الآية: (٢٠).

قال:»سبيل الشقاء والسعادة، وهو كقوله :»﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ « (١)» (٢).

وغير ذلك مما توصل إليه التابعون باجتهادهم .وهذه مصادر التفسير عند التابعين بكل أقسامه.

وهذه المصادر التفسيرية عند التابعين عامة، أمَّا مصادرهم في تفسيرهم القرآني بالقرآن خاصة فهما مصدران(٣):

أولًا: ما جاء في القرآن صريحًا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ (٤) فتفسّير يوم الدين في الآية بالآية التي بعدها لا يحتمل غيره ،عن قتادة، في قوله: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ (٥)،»والأمر والله اليوم لله، ولكنه يومئذ لا ينازعه أحد»(٦).

«أمَّا ما ثبت عن النبي - ﷺ-فهو تفسير نبوي للقرآن بالقرآن و ليس للتابعين من ذلك شيء سوى بركة النقل».

ثانيًا: الرأي والاجتهاد ، وهذا المرجع خاضع للقبول والرد كما أسلفنا؛ ذلك بعد إطلاق النظر في أدلة المفسّر و مناقشتها .

وبهذا القدر من البحث نستطيع أن نقول: إنَّ العمق التأريخي للتفسير القرآني بالقرآن وأصوله قد بدأت نسائمه منذ عصر نزول القرآن على يد خليل الرحمن سيدنا محمد - ﷺ -ثم تأسس على أيدي الصحابة الأجلاء - ﷺ وتابعيهم- رحمهم الله إذ وضعوا قواعد» هذا الفن التفسيري أمام أنظار الباحثين والمحققين والمعلمين معبدين الطريق لهم ولمن بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها».

---

(١) سورة الإنسان ،الآية: (٣).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، (٢٤/ ٢٢٣) .

(٣) ينظر: تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية، (ص:١١) .

(٤) سورة الانفطار، الآية :(١٧ – ١٩) .

(٥) سورة الانفطار، الآية :(١٩) .

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن،(٢٤/ ٢٧٣).

خاتمة البحث

«حمدًا لله على التمام والصلاة والسلام سيد الأنام و رضي الله عن آله و صحابته خير قرون الأنام وبعد: فإنَّ لكل دراسةٍ نتاج وثمرات ومن أهم ثمرات هذه الدراسة ما يأتي:

١- إنَّ العمق التأريخي لهذا الأَصل التفسيري كان مصاحبًا لنزول القرآن العظيم على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هنا تبرز أهمية هذا الأصل التفسيري.

٢- ما فسره النبي ﷺبطرق تفسير القرآن بالقرآن يعد تفسيرًا نبويًا للقرآن.

٣- يُعد الصحابةُ ﷺ والتابعون لهم رحمهم الله هم المؤسسون لهذا الأصل التفسيري وما نقلوه عن النبي ﷺليس لهم منه إلا بركة النقل.

وفي الختام أسأل الله تعالى العفو والمغفرة لما أُلام عليه إنَّه: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ٥٦﴾[1].

(١) سورة المدثر، من الآية : ٥٦.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:١،(١٣٩٤هـ- ١٩٧٤ م).

٢. الإستيعاب في بيان الأسباب: سليم بن عيد الهلالي (و) محمد بن موسى آل نصر ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ،ط: ١، ١٤٢٥ هـ .

٣. البرهان في علوم القرآن: للزركشي أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، ط: ١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م:

٤. التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي ، أبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تح: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط،١، (١٤١٦ هـ).

٥. تفسير القرآن العظيم ، لابن أبي حاتم: لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)،تح: أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية ،ط،٣ ،(١٤١٩ هـ)، (١/ ٧٣).

٦. تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية : عبد المجيد أحمد الدوري، رسالة دكتوراه - جامعة بغداد – كلية العلوم الاسلامية ،(١٤١٢ هـ-١٩٩٢م).

٧. تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية: د. أحمد بن محمد البريدي، بحث محكم منشور في مجلة معهد الامام الشاطبي ، للدراسات القرآنية ، العدد (٢) ،ذو الحجة (١٤٢٧هـ).

٨. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): للإمام الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتردي (ت: ٣٣٣هـ) ،تح: د. مجدي بالسوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ،ط ،١، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).

٩. تفسير مجاهد: لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ) ، تح : الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل ، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ،ط

، ١ ، (١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م) .

١٠. تفسير مقاتل بن سليمان: لمقاتل بن سليمان أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث – بيروت ،ط،١، ١٤٢٣ هـ.

١١. التفسير والمفسرون: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ) ، مكتبة وهبة، القاهرة ،(ب .ط. ت).

١٢. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملين، أبي جعفر الطبري (ت : ٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ،ط، ١،(١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).

١٣. الروايات التفسيرية في فتح الباري: عبد المجيد الشيخ عبد الباري،رسالة دكتوراه، وقف السلام الخيري،ط، ١،(١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م).

١٤. صحيح البخاري: للبخاري، محمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري(ت: ٦٥٦هـ)،تح: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة،ط، ١،(١٤٢٢هـ).

١٥. فصول في أصول التفسير: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار،تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان ، دار ابن الجوزي ،ط ٢،(١٤٢٣هـ).

١٦. كتاب العين: للخليل، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال،(ب.ط.ت)

١٧. لسان العرب: لابن منظور ، محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط:٣،(١٤١٤هـ).

١٨. مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن: عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد ، دار البيان العربي – القاهرة ،(ب. ط،ت).

١٩. مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه : عدنان محمد زرزور ، دار القلم / دار الشامية - دمشق / بيروت ،ط،٢، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

٢٠. المقدمات الأساسية في علوم القرآن: عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي ، مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا ،ط، ١،(١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).

٢١. مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ،تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت:

٧٢٨هـ) ، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ،ط :(١٤٩٠هـ- ١٩٨٠م).

٢٢. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: ٣، (ب. ت).

٢٣. موسوعة التفسير قبل عهد التدوين: محمد عمر الحاجي ، دار المكتبي – دمشق ،ط، ١،(١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٧ م).

٢٤. نفحات من علوم القرآن: محمد أحمد محمد معبد (ت: ١٤٣٠هـ) ، دار السلام – القاهرة ،ط، ٢، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).

Sources and references:

After the Holy Quran.

1. Perfection in the Sciences of the Qur'an: by Al-Suyuti، Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr، Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH)، edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim، Egyptian General Book Authority، 1st edition، (1394 AH - 1974 AD).

2. Comprehension in the Statement of Reasons: Salim bin Eid al-Hilali (and) Muhammad bin Musa Al Nasr، Dar Ibn al-Jawzi for Publishing and Distribution، Kingdom of Saudi Arabia، 1st edition، 1425 AH.

3. The proof in the sciences of the Qur'an: by Al-Zarkashi Abu Abdullah Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahadur Al-Zarkashi (d. 794 AH)، edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim، Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabi، Issa Al-Babi Al-Halabi and his partners، 1st edition، 1376 AH - 1957 AD. :

4. Al-Tasheel for the Sciences of Revelation: by Ibn Jazi، Abi Al-Qasim، Muhammad bin Ahmad bin Muhammad bin Abdullah، Ibn Jazi Al-Kalbi Al-Gharnati (d. 741 AH)، edited by: Dr. Abdullah Al-Khalidi، Dar Al-Arqam Bin Abi Al-Arqam Company، Beirut، 1st edition. ، (1416 AH).

5. Interpretation of the Great Qur'an، by Ibn Abi Hatim: by Abu Muhammad Abd al-Rahman bin Muhammad bin Idris bin al-Mundhir al-Tamimi، al-Hanathali، al-Razi Ibn Abi Hatim (d. 327 AH)، edited by: Asaad Muhammad al-Tayyib، Nizar Mustafa al-Baz Library - Kingdom of Saudi Arabia، ed. ،3، (1419 AH)، (1/ 73).

6. Interpretation of the Holy Qur'an according to the Sunnah of the Prophet: Abdul Majeed Ahmed Al-Douri، doctoral dissertation - University of Baghdad - College of Islamic Sciences، (1412 AH - 1992 AD).

7. Interpretation of the Qur'an through the Qur'an، a fundamental study: Dr. Ahmed bin Muhammad Al-Baridi، peer-reviewed research published in the Journal of the Imam Al-Shatibi Institute for Qur'anic Studies، Issue (2)، Dhul-Hijjah (1427 AH).

8. Interpretation of Al-Maturidi (Interpretations of the Sunnis): By Imam Al-Maturi-

di، Muhammad bin Muhammad bin Mahmoud، Abu Mansur Al-Maturidi (d. 333 AH)، ed.: Dr. Majdi Balsum، Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut، Lebanon، 1st edition، (1426 AH - 2005 AD).

9. Tafsir Abd al-Razzaq: by al-San'ani Abu Bakr Abd al-Razzaq bin Hammam bin Nafi' al-Humayri al-Yamani al-San'ani (d. 211 AH)، study and interpretation by: Dr. Mahmoud Muhammad Abdo، Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut. ، 1st edition، (1419 AH).

10. Interpretation of Mujahid: by Abu al-Hajjaj Mujahid bin Jabr al-Tabi'i al-Makki al-Qurashi al-Makhzoumi (died: 104 AH)، edited by: Dr. Muhammad Abd al-Salam Abu al-Nil، Modern Islamic Thought House، Egypt، 1st edition، (1410 AH - 1989 AD).

11. Interpretation of Muqatil bin Suleiman: By Muqatil bin Suleiman Abi Al-Hasan Muqatil bin Suleiman bin Bashir Al-Azdi Al-Balkhi (d. 150 AH)، edited by: Abdullah Mahmoud Shehata، Dar Ihya Al-Turath - Beirut، 1st edition، 1423 AH.

12. Interpretation and commentators: Dr. Muhammad Al-Sayyid Hussein Al-Dhahabi (d. 1398 AH)، Wahba Library، Cairo، (B.C.T.).

13. Jami' al-Bayan fi Interpretation of the Qur'an، by al-Tabari: Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Kathir ibn Ghalib al-Amilin، Abu Jaafar al-Tabari (d. 310 AH)، edited by: Ahmad Muhammad Shaker، Foundation of the Resala، 1st edition، (1420 AH - 2000 AD) .

14. Interpretive narratives in Fath al-Bari: Abd al-Majid al-Sheikh Abd al-Bari، doctoral dissertation، Al-Salam Charitable Endowment، 1st edition، (1426 AH - 2006 AD).

15. Sahih Al-Bukhari: By Al-Bukhari، Muhammad bin Ismail Abi Abdullah Al-Bukhari (d. 656 AH)، edited by: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser، Dar Touq Al-Najah، 1st edition (1422 AH).

16. Chapters on the Principles of Interpretation: Dr. Musaed bin Suleiman bin Nasser Al-Tayyar، presented by: Dr. Muhammad bin Saleh Al-Fawzan، Dar Ibn Al-Jawzi، 2nd edition، (1423 AH).

17. The Book of Al-Ayn: By Al-Khalil، Abu Abdul Rahman Al-Khalil bin Ahmed bin Amr Al-Farahidi (d. 170 AH)، edited by: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi، Dr. Ibrahim Al-Samarrai، Al-Hilal House and Library، (ed. T. T.)

18. Lisan al-Arab: by Ibn Manzur، Muhammad bin Makram Ibn Manzur al-Ifriqi (d. 711 AH)، Dar Sader - Beirut، 3rd edition (1414 AH).

19. Investigations in the Sciences of the Qur'an: by Sobhi Al-Saleh، Dar Al-Ilm Lil-Millain، 24th edition (January 2000).

20. Lectures on the Sciences of the Qur'an: by Abu Abdullah Ghanem bin Qadduri bin Hamad bin Saleh، Al Musa Faraj Al-Nasiri Al-Tikriti، Dar Ammar - Amman، 1st edition، (1423 AH - 2003 AD).

21. An Introduction to Interpretation and the Sciences of the Qur'an: Abd al-Jawad Khalaf Muhammad Abd al-Jawad، Dar al-Bayan al-Arabi - Cairo، (B. I، T).

22. Introduction to the Interpretation of the Qur'an and its Sciences: Adnan Muhammad Zarzour، Dar Al-Qalam / Dar Al-Shamiya - Damascus / Beirut، 2nd edition، (1419 AH - 1998 AD).

23. Musnad al-Shashi، by al-Shashi: Abu Sa'id al-Haytham ibn Kulayb ibn Surayj ibn Ma'qil al-Shashi al-Banki (d. 335 AH)، ed.: Dr. Mahfouz Al-Rahman Zainullah، Library of Science and Wisdom - Medina، 1st edition (1410 AH).

24. Musnad al-Shashi، by al-Shashi: Abu Sa'id al-Haytham ibn Kulayb ibn Surayj ibn Ma'qil al-Shashi al-Banki (d. 335 AH)، ed.: Dr. Mahfouz al-Rahman Zayn Allah، Library of Science and Wisdom - Medina، 1st edition، (1410 AH).